وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة تكريت / كلية التربية للبنات
قسم علوم القرآن والتربية الاسلامية
الدراسات الاولية / بكالوريوس

المحاضرة العاشرة: مرحلة تطوير التفسير

المرحلة : الثانية

مدرس المادة:

م. سبأ علي مزهر

الايميل الجامعي:**sMizher@tu.edu.iq**

نشأة علم التفسير وتطوره:

جرت سنة الله تعالى في إرسال الرسل وإنزال الكتب أن يبعث لكل أمة نبياً بلسان قومه ، وأن يكون كتابه بلسانهم ،

قال تعالى (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم)

وأنزل الله القرآن الكريم بلسان عربي مبين على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في جزيرة العرب ، قال تعالى (إنا أنزلناه قراناً عربياً لعلكم تعقلون) .

وكان القوم عرباً خلصاً يفهمون القرآن الكريم بمقتضى السليقة العربية واللسان العربي ، غير أن القرآن يعلو على سائر كلام العرب بألفاظه وأساليبه اللغوية والبلاغية فضلاً عن معانيه ، ولذا فقد كانوا يتفاوتون في فهمه وإدراكه وإن كان كل منهم يدرك ما يوقفه على إعجازه ، فكان بعضهم يفسر ما غمض على الآخر من معنى ، فإن أشكل عليهم لفظ أو غمض عليهم مرمى ، ولم يجدوا منْ يفسره لهم سألوا الرسول صلى الله عليه وسلم فيوضح لهم ما غمض عليهم فهمه وإدراكه ، لأنه عليه الصلاة والسلام أعلم الناس بمعاني كتاب الله وإدراك أسراره ومعرفة مقاصده. بل هو الذي وجه إليه الله كلامه حيث قال: { لتبين للناس ما نزل إليهم }

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال "لما نزلت { الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم} ، شق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا أينا لا يظلم نفسه! فَقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ليس هو كما تظنون إنما هو كما قال لقمان لابنه

{ يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم } .

ولم يكن تفسير القرآن الكريم يدوّن في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم كعلم مستقل بذاته، وإنما كان يروى منه عن النبي صلى الله عليه وسلم ما كان يتعرض لتفسيره كما كان يروى عنه عليه الصلاة والسلام الحديث.

وقام علماء الصحابة والتابعين يبينون للناس معاني القرآن ، ويفسرونه لهم .

واستمر الصحابة يتناقلون معاني القرآن وتفسير بعض آياته على تفاوت فيما بينهم ، لتفاوت قدرتهم على الفهم ، وتفاوت ملازمتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد اشتهر كثير من الصحابة بتفسير القرآن

منهم الخلفاء الأربعة ، وابن عباس وابن الزبير ، وأبي بن كعب ، وزيد بن ثابت ، وعبدالله بن مسعود ، وأبو موسى الأشعري ، وعائشة رضي الله عنهم .

وحين اتسعت الفتوحات الإسلامية انتشر الصحابة رضي الله عنهم في البلدان المفتوحة يعلمون أهلها القرآن ويفسرون لهم معانية، وينشرون لهم علومه ومعارفه ومضى عصر الصحابة رضوان الله عليهم على ما تقدم،

ثم جاء عهد التابعين الذين أخذوا علم الكتاب والسنة عنهم وكل طبقة من هؤلاء التابعين تلقت العلم على يد من كان عندها من الصحابة رضوان الله عليهم، فجمعوا منهم ما روي عن الرسول صلى الله عليه وسلم من الحديث، وما تلقوه عنهم من تفسير للآيات وما يتعلق بها فكان علماء كل بلد يقومون بجمع ما عُرف لأئمة بلدهم .

رجعون إلى النبي صلى الله عليه وسلم فيما أشكل عليهم فهمه من القرآن ، فيجدون الجواب الشافي .

مراحل التفسير

المرحلة الأولى((التفسير في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم))

اختلف العلماء في مقدار ما فسره الرسول صلى الله عليه وسلم من القران إلى قولين :

الأول: أن الرسول صلى الله عليه وسلم بيّن لأصحابه معاني القرآن كما بيّن لهم ألفاظه واستدلوا بأدلة منها:

١-((وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون)) والبيان يتناول الألفاظ والمعاني.

٢-حديث أبي عبد الرحمن السلمي((حدثنا الذين كانوا يقرئوننا: أنهم كانوا يستقرئون من النبي صلى الله عليه وسلم،فكانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يخلفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل : فتعلمنا القرآن والعمل جميعا))

٣-وحديث أنس بن مالك(كان الرجل إذا قرأ سورة البقرة وآل عمران جد فينا)وما ورد عن ابن عمر أنه أقام على حفظ البقرة عدة سنين قيل ثمان سنين)قالوا ولو كان المراد مجرد الحفظ لما احتاج إلا لزمن يسير فدل على أن المراد فهم المعاني.

٤-وقالوا أن الكلام المقصود منه فهم معانيه دون مجرد ألفاظه فالقرآن أولى والعادة تمنع أن يقرأ قوم كتابا في فن من العلم كالطب ولا يستشرحوه فكيف بكلام الله.

الثاني:إن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يبين لأصحابه إلا القليل من معاني الآيات واستدلوا بأدلة منها:

١-ما روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يفسر شيئا من القرآن إلا آيا بعدد،علمه إياه جبريل عليه السلام.

٢-قالوا إن الله لم يأمر نبيه بالنص على المراد في الآيات كلها لأجل أن يتفكر عباده في كتابه.

٣-وقالوا لو بين الرسول الكريم كل معاني القرآن لما كان لدعائه لابن عباس((اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل))

والرأي الراجح: أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يبين كل معاني الآيات القرآنية لأن :

١-منها مايرجع فهمها إلى معرفة كلام العرب .
٢-منها مايتبادر فهمه إلى الأذهان لظهوره مثل ((حرمت عليكم أمهاتكم)) .
٣-ومنها ما استأثر الله بعلمه كقيام الساعة .
٤-ومنها ما لا فائدة في معرفة أكثر من معناها المتبادر،وعلى هذا لا نستطيع الجزم بأن الرسول الكريم لم يفسر لأصحابه كل آيات القرآن .

منهج الرسول الكريم في التفسير:

١-لم يفسر الرسول صلى الله عليه و سلم القرآن كله سورة سورة وآية آية وإنما بين ما أمر ببيانه من الوحي غير المتلو .
٢-ما نزل عليه تفصيلا لمجمل أو تخصيصا لعام أو تقييدا لمطلق .
٣-فسر النبي صلى الله عليه و سلم ما خفي على الصحابة من المعاني التي لا يمكنه التوصل إليها باللغة أو الاجتهاد .
٤-أما عن مصادرة الرسول صلى الله عليه و سلم في التفسير فلقد اعتمد على القرآن الكريم ففسر القرآن بالقرآن وفسر القرآن بالسنة لأنها جاءت مبينة ومؤكدة لما في القرآن من أحكام.

المرحلة الثانية (التفسير في عهد الصحابة رضي الله عنهم)

كانوا الصحابة إذا خفي عليهم معنى رجعوا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فبين لهم وإذا لم يتيسر لهم ذلك رجعوا إلى اجتهاداتهم ، وكان يرجع بعضهم إلى بعض وذلك لتفاوتهم في فهم القرآن

ويرجع تفاوتهم في فهم القرآن إلى ما يلي:

١- تفاوتهم في أدوات الفهم.
٢- تفاوتهم في ملازمة الرسول الكريم.
٣- تفاوتهم في معرفة أسباب النزول.
٤- تفاوتهم في العلم الشرعي.
٥- تفاوتهم في مداركهم العقلية.

مميزات الصحابة في التفسير:

١-قلة الأخذ بالإسرائيليات.
٢-لم يكن تفسيرهم يشمل القرآن كله لتضلعهم في اللغة
٣-كانوا لا يتكلفون التفسير ولا يتعمقون فيه تعمقا مذموما فقد كانوا يكتفون في بعض الآيات بالمعنى العام، ولا يلتزمون بالتفصيل فيما لا فائدة فيه
٤-قلة تدوينهم للتفسير وإن أغلب ما روي عنهم كان بالرواية والتلقين وليس بالتدوين.

لماذا لم يدونوا التفسير حتى لا يختلط القران بالتفسير.

٥- ندرة الاستنباط العلمي في الأحكام الفقهية و عدم وجود الانتصار للمذاهب الدينية نظرا للاتحاد في العقيدة .

٦- قلة اختلافهم و أكثر اختلافهم تنوع نظرا لاتحادهم في العقيدة .

٧- اتخذ التفسير في هذه المرحلة شكل الحديث بل كان جزء منه و يكتب معه

اشتهر عدد من الصحابة في التفسير فكان منهم أبو بكر و عمر و عثمان و علي و ابن مسعود و ابن عباس و ابن الزبير

أما أكثر الصحابة رضي الله عنهم رواية في التفسير :

١- علي بن أبي طالب.

٢- عبد الله بن مسعود < مدرسته في الكوفة .

٣-عبد الله بن عباس< مدرسته في مكة .

٤- أبي بن كعب < مدرسته في المدينة .

المرحلة الثالثة ((التفسير في عهد التابعين))

تلقى التابعون من الصحابة التفسير و اتسعت الفتوحات الإسلامية في عهدهم و تعرضوا لشيء من التفصيل أكثر من الذي كان سابقا خصوصا في قصص الأنبياء و الأمم الماضية و النفوس تميل إلى الاستقصاء فمع اتساع الفتوحات الإسلامية و دخل في الإسلام أمم من أهل الكتاب الذين يعرفون تفاصيل هذه القصص من التوراة والإنجيل صاروا يروون هذا للناس فدخل في التفسير طائفة من هذه الأخبار التي تعرف بالإسرائيليات / ابن سلام ، كعب الأحبار ، ووهب بن منبه .

مزايا تفسير التابعين :

١- دخول الإسرائيليات في التفسير .

٢-اتساع الفتوحات الإسلامية ودخول الكثير من العجم في الإسلام زادت الحاجة إلى تفسير كثير من الآيات فشمل في عهد التابعين تفسير القرآن كله.

٣- ظل التفسير في هذا العهد محتفظا بطابع التّلقي والرواية فأصبح كل مصر يتلقون من إمامهم ، فالمكيون عن ابن عباس ، والمدنيون عن أبي ، والعراقيون عن ابن مسعود .

٤- كثرة الخلافات التفسيرية فزادت الاقوال في المسألة الواحدة .

٥- ظهرت نواة الخلاف المذهبي

٦- كان التفسير في ذلك العهد مرويا بإسناد كل قول إلى صاحبه .

أشهـــر المفسرين من التابعين :

مجاهد بن جبر ، سعيد بن جبير ، عطاء بن أبي رباح ، طاووس ، الحسن البصري ، قتاده ، محمد بن ابي كعب.